دور المنظورية في تضخيم الرعب.. هاملت والملك لير مثالاً

صلاح نيازي

ارتعب هاملت. وما كان أشدّ ارتباكَهُ! حين رأى شبح والده، فخاطبه: "أخبرْني لماذا نزعتْ عظامُكَ أكفانها وقد دُفنتْ حسب الطقوس، لماذا فتح القبر شدقيه الرخاميّن الثقيلَيْن ليلفظكَ مرّة أخرى، وقد رأينا تابوتكَ يوضع فيه، ماذا تعني عودتك؟" أثار هاملت بجملة: "ماذا تعني عودتك؟"، فضول السامع اوّلاً، وإدخال الخوف في النفوس، خاصة حينما طلب الشبح من هاملت أن يتبعه إلى" مكان أكثر عزلة"، وهاملت لا يعرف هل نوايا الشبح خبيثةٌ أمْ خيّرة. قد يكون من المفيد أن نتتبع تقنيات شيكسبير في تكبير الخوف مرحلة بعد أخرى.

شكسبير

استنجد هاملت حين رأى الشبح، "بملائكة السماء ورُسلها أن تحميه". كذا تهالك كلية مَما رأى، فلم يسعفْه عقله في تفسير هذه الظاهرة الغريبة، ولا اسْتُنفرتْ قواه الجسمانية للذود عنه، خزينه في العقل الباطن عن الأشباح جعله يجفل كردّ فعل انعكاسي. المعتقدات الإليزابيثية المتفشية آنذاك، تقول: "إنّ الذين يرون الأشباح يجدون شفاههم في كثير من الأحيان تتفطّر، ووجوههم تنتفخ كأنما ضربتهم ريح فاسدة"، بالإضافة الى إن شبح الميت قد يتجوّل هنا وهناك، إذا لم تُقَمْ له طقوس الدفن حسب الأصول المرعية. لذا كان على هاملت أن يفتش عن تفسير آخر، خاصة وأنّه متأكد من أن طقوس دفن والده جرت على ما يرام.

إذنْ ماذا تعني عودتك؟

وحتى يزيد شيكسبير من الغموض الذي يكتنف ظهور الشبح، جعله يأتي من منطقة لا يصلها ضوء القمر: "أنتَ الجثة الهامدة، بكامل سلاحك مرّة أخرى لتسير هكذا في ضوء القمر المتقطّع".

يوحي ضوء القمر هنا، إلى أنّه كان "شاحباً ومتقطعا في هذه الليلة المنذرة بالشؤم".

يضفي وجود هوراشيو ، وهو صوت العقل في المسرحية، بتعليلاته الحكيمة بعداً آخر للخوف، حيث أشار إلى معتقد كان شائعاً في العصر الإليزابيثي، "ذلك أن الشياطين كثيراً ما تغري الأرواح المضطربة (وقد اضطربت الآن روح هاملت) إلى قنّة جبل (خارجة منه وداخلة في البحر) حيث تستطيع أن تجمّل في عيونهم اليأس، فينتحرون"، طريق المنتحرين إلى الجحيم طريق واحد لا غير.

وزيادة في غموض المشهد نحت شيكسبير كلمة جديدة هي: Cermens وهي منحوتة من Cerecloth: (قماش مشمّع يُلَفّ به الموتى)، وكلمة :Cermonies (أيْ: شعائر).

كانت روح هاملت تلوب. لا يثنيها شيء. لا بدّ من معرفة سرّ الشبح. هذا بحدّ ذاته عامل شدّ آخر. قال هاملت: " إنّ حياتي لا تساوي شروى نقير":Pin's fee. ثمّ تبع الشبح حاملاً روحه على كفّه، "إلى حيث ألقتْ رحلها أمُّ قشعم"..

لم يكفّ هوراشيو عن ثني هاملت، بل استعان هذه المرة بالطبيعة:

"ماذا لو أغراك صوب البحر، يا سيّدي اللورد

أو إلى قمّة المنحدر الصخري المرعبة

تلك المعلّقة على قاعدتها في البحر

وهناك ينتحل شكلاً مخيفاً آخر،

قد يجرّدك من السيطرة على عقلك

ويسحبك قريباً من الجنون، فكّرْ في ذلك.

المكان وحده دون باعث آخر،

يضع في كلّ دماغ حوافز للانتحار

إذا هو نظر إلى مسافات بعيدة في البحر

وسمع هديره من الأسفل".

مشهد من مسرحية عطيل

(الفصل الأوّل- المشهد الرابع)

×××

ظهرت مثل هذه المنظورية الجوية، في مسرحية الملك لير، ولها ما لتلك من تضخيم للخوف، إلاّ أنها هنا أكثر تعقيداً. تدور هذه المنظورية بين أدغار الابن المتنكر صوتاً ولهجة، وأبيه غلوستر الذي فقأت ابنتا الملك عينيه، وهو يريد الآن أن ينتحر.

غلوستر شخصية على طبيعتها، متفانياً في حبّ الملك، لكنه شخصية متسرّعة، جرّ عليه تسرّعُهُ أعقد النكبات، ففقد عينيه. كان له ولد شرعي اسمه أدغار، وآخر غير شرعي اسمه أدموند.

زوّر أدموند رسالة باسم أدغار زعم فيها أنه يريد قتل أبيه للاستحواذ على إرثه. يهرب أدغار ويخلو الجو لأدموند فـ"باض وصفر".

فقأت غونريل، وريغن ابنتا الملك، عينيه لأنه كان يحبّ أباهما.

أدرك غلوستر، لكنْ "بعد خراب البصرة"، . بلاهته في إيلاء دزموند ثقته العمياء. أدرك كذلك سوء حكمه على أدغار.

بسبب تسرّعاته تلك، قرّر غلوستر الانتحار، وعيّن لمن يقوده (كان يقوده ابنه المتنكر أدغار) الصخرة الجبلية التي يريد أن يرمي نفسه منها في البحر:

غلوستر: هناك جرف صخريّ، رأسه عالٍ وناتئ،

يطلّ برعب على بحر عميق محبوس

في مضيق ضيّق

خذني إلى حافته الأخيرة بالذات

وأنا سأقوم..."

كان غلوستر يقول ما يمكن أن يكون مفتاحاً أساسياً للمسرحية، حسب بعض النقاد: "إن الأرباب السماوية وحوش سادية".

مهما دار الأمر؛ فقد قاد أدغار والده إلى الجرف الصخري المنشود، أو هكذا ظنّ الأب. الواقع لم يكنْ سوى ربوة صغيرة، صوّرها أدغار لأبيه الأعمى على أنها قمّة شاهقة، وخطرة شديدة الانحدار. معها صوّر الهاوية السحيقة للبحر، بأغرب منظورية جوية مركبة من ثلاثة مستويات.

أراد أدغار من البداية أن يدخل التردد في قلب والده، حيث قال: "النظر إلى الأسفل بهذه الدرجة، شيء مخيف ومدوّخ".

تتكوّن هذه المنظورية كما قلنا أعلاه من ثلاثة مستويات:

أوّلاً؛ الغربان والزيغان الطائرة، وهي تبدو بحجم الخنافس.

المستوى الثاني؛ مشهد رجل في منصف الجبل يجمع الأشنان، وهو يبدو لبعده، بحجم رأسه.

المشهد الثالث؛ يشمل صيادي الأسماك الذين يبدون كالفئران، ويشمل كذلك البواخر العالية الراسية التي لا تبدو إلاّ زوارق صغيرة.

حينما تكتمل العدة البصرية، ينتقل أدغار إلى حاسة السمع، للمرة الأولى في هذه المنظورية: "وجيشان البحر على الحصى العقيم الذي لا يحصى ولا يُسمع".

يشير أدغار في نهاية المنظورية إلى الخوف من النظر إلى البحر الشاهق، وهو شبيه بما ابتدأ به:

" لنْ أنظر أطول خشية أن أصاب بالدوار

ويجعلني نظري القاصر أسقط على رأسي"

قفز غلوستر، فلم يجدْ نفسه إلاّ في مكانه. بينما يعلل أدغار خديعته هذه لأبيه، بقوله: "أعبث هكذا بيأسه لأشفيه".

المنظورية

أدغار: قفْ

النظر إلى الأسفل بتلك الدرجة

شيءٌ مخيف ومدوّخ

إن الغربان والزيغان التي تطير

في منتصف الهواء

بالكاد تبدو أكبر من حجم الخنافس

وفي منتصف الجبل

يتعلق رجل يجمع الأشنان، مهنة مروّعة

أظنّ أنه لا يبدو أكبر من رأسه

والسمّاكون الذين يسيرون على ساحل البحر

يبدون مثل الفئران، وهناك باخرة عالية راسية

تضاءلتْ كأنها قارب نجاة صغير

وتضاءل زورقها إلى عوامة صغيرة جدّاً

لا يكاد يُرى

وجيشان البحر على الحصى

العقيم الذي لا يُحصى

ولا يُسمع

لنْ أنظرَ أطول خشية أن أُصاب بالدوار

ويجعلني نظري القاصر أسقط على رأسي".

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

(المجانيّة) في كتابة الشعر

يقترح بعض الشعراء والنقاد علينا اليوم أن نتوقف عند تخوم نهائية، اسمها اليوم قصيدة النثر. وهم يسقطون بذلك بحسن نية في كلاسيكية جديدة، أو بعمود شعري مُستحدَث بالمعنى الذي اُستخدم فيه تاريخياً مفهوم العمود، أي النسج على منوال تقليدي ثابت منذ مطلع القصيدة مروراً بجميع التفاصيل الأخرى المقعَّدة بصرامة لدى النقاد العرب التراثيين. ما الفارق يا ترى بين ذاك التقعيد والتقعيد الحالي للشعر؟ لا يبدو الفارق ذا شأن؛ نرى في التقعيد الراهن أصولية راسخة، وسلفية بالمقلوب، ففي حين أنها تزعم أنها في قلب الحداثة فأنها تستعير المفهوم بصيغته الأصلية الجامدة وتضرب بعرض الحائط ما ينطوي عليه من تجديد وانشقاق، وتفارق مستمر هو السمة الأصلية لأي حداثة. لنذكر أن مؤلفة الكتاب المقدّس عند البعض عن قصيدة النثر، السيدة سوزان برنار، ما زالت على قيد الحياة، وهي روائية كندية وناقدة أدبية، كتبت عملها المشهور عن قصيدة النثر عام ١٩٥٩ ولديها دكتوراه في السوسيولوجيا، وفي سيرتها الذاتية الرسمية أنها تعمل بشكل أساسي بصفتها (معالجة نفسية [بشأن] الحداد والفقدانات المؤثرة الأخرى Thérapeute du deuil et autres pertes émotives)، حسب الموسوعة الإلكترونية ويكيبيديا. لو سألتها عن موقفها بشأن تصنيم آرائها، لأجابتْ في الغالب أنها ستكون ضد الأمر، ولو سألتها عن المروق عن قواعدها المقترحة لقصيدة النثر لوافقتْ، ولو سألتها عن التجريب في الشعر لأجابتْ أنها تميل له أصلاً لأنه يقع في مكان ما من أطروحاتها، ولأنه قد يثير (تأثيرا شعريا) على ما قد تقول.

يقع تقعيد (قصيدة النثر العربية) نظرياً بأطر نهائية، منها المجانية التي يبدو لي اليوم أنها قد فُهمتْ على نطاق واسع في العالم العربي بالمعنى المبتذل (للمجانية). اكتب ما تشاء وسَمِّهِ (قصيدة نثر) طالما ثمة المجانية هذه بالمعنى السائد ذاك. مَن نتائج هذا الفهم الفعلية التي نشهدها كل لحظة في الصحافة الورقية والإلكترونية، لكن خاصة على (استيسات) الفيس بوك العربية نصوصٌ لانهائيةٌ مجانيةٌ متدنّيةٌ بالفعل. أضف لذلك وبالترافق معه الضعف الإملائي الفاحش لدى كتّاب قصيدة النثر العربية الجدد وهم يذهبون إلى كتابة (لك) بالمؤنث بصيغة (لكي) و(أشكركي) و(أنتي) ... إلخ وكتابة النصوص التخاطبية بالحروف اللاتينية، ناجحين بما لم ينجح به لويس عوض وسعد عقل منذ بداية القرن العشرين. الخطورة الأخيرة يجب أخذها بعين الاعتبار القصوى. هناك أيضا التنميط الأسلوبي ووحدة القاموس في هذه النصوص، لكننا أمام نص واحد بتنويعات كثيرة. ومن دلالات هذا التنميط الأولى غياب التجربة الحميمة عن (قصيدة النثر) هذه، ومن نتائجها التفخيم المفرط للذات الكاتبة عبر إلصاق صفة (الشاعر) و(الشاعرة) قبل أسماء منتجيها من قبلهم هم أنفسهم، ثم تبادل المدائح المجانية بين من يكتبها. نلاحظ كذلك هجوماً كاسحاً من طرف الأنسات على هذه القصيدة. وإذا شئنا بعض الطرافة فإنها قصيدة (بنات) عن جدارة بمقاسات ضيقة أحياناً، تظهر التفاصيل الحميمة للجسد أحياناً أخرى.

قد يفهم البعض من ذلك موقفاً رجعياً إزاء الأشكال الشعرية والممارسات اللغوية المستحدثة. لا شيء من ذلك في حالة من يدافع مثلنا بكل قوة عن حرية الكائن في التعبير غير المشروط المسؤول، والحرية في استخدم اللغة.

إن قصيدة النثر شكل مشروع لكنه ليس الشكل الوحيد النهائيّ، ولا نظنّ (القواعد) التي وُضعتْ في الآونة الأخيرة صالحة دائما، سواء في الحالات الرفيعة أو الأقل رفعة. بينما الظواهر التي نتكلم عنها، والكثير منها نعرف منتجيها شخصياً، فإنها لا تستجيب في الحالات السائدة لشروط الحداثة والجمال والمعرفة والحرية.

نافذة ضوء

افتتاح معرض الكتاب في الشارقة

غابت وزارة الثقافة وحضرت (المدى) وآخرون

في افتتاح المعرض

الشارقة/ المدى

افتتحت في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة الاربعاء الماضي الدورة السنوية الثلاثون لمعرض الشارقة للكتاب تحت شعار "في حب الكلمة المقروءة" الذي شاركت فيه مؤسسة "المدى" الى جانب عدد من دور النشر العراقية وبغياب وزارة الثقافة.

وابتدأت الدورة التي افتتحها حاكم الشارقة الشيخ الدكتور سلطان القاسمي بتوزيع جوائز على افضل الكتب المؤلفة والمترجمة في قطاعات مختلفة وعلى عدد من دور النشر.كما كرمت الدورة الدكتور محمد بن عيسى المسؤول عن مهرجان اصيلة الثقافي (المغرب) باعتباره الشخصية الثقافية لهذا العام.

والى جانب الكتب التي تعرضها عشرات دور النشر من مختلف الدول العربية والاجنبية، تتضمن الدورة سلسلة من النشاطات الثقافية، منها ندوة عن: واقع الثقافة العربية في دائرة الضوء، والوجه الإنساني للسياسة الدولية نظرة على زعماء العالم على مر العصور، وتحديات الثقافة في العالم العربي، والثقافة العربية في أفق التبدلات، وتعزيز التفاهم بين الثقافات، فضلا عن فعاليات تتعلق بالاطفال والاصدارات الموجهة لهم.

وتشتمل الدورة على قراءات ادبية وعروض مسرحية ونشاطات فنية متنوعة واخرى في مجال ثقافة وادب الأطفال، ولقاءات مع طلبة الجامعات والمدارس لتشجيعهم على القراءة.

ولوحظ غياب التمثيل الرسمي للعراق بخلاف سائر الدول العربية في هذه الفعالية التي تستمر عشرة ايام. وعلمت "المدى" من مصادر في وزارة الثقافة بان الوزارة لم تشارك لعدم وجود تخصيص مالي للمشاركة في هذا المعرض المهم. لكن الحضور العراقي حققته مؤسسة (المدى) في جناحها، كما شارك ناشرون عراقيون آخرون في الخارج، وبخاصة دار الجمل (المانيا)، ودار الحكمة (بريطانيا). وشارك عدد من الكتاب والشعراء العراقيين المقيمين في المنفى بينهم الكاتب رشيد الخيون الذي وقع كتبه مع عدد من الكتاب العرب والاجانب، والشاعر قاسم سعودي الذي شارك في احدى امسيات المعرض الشعرية.

محطات ثقافية

(الرحيل من بغداد) في قائمة أهم فيلم بريطاني مستقل

أعلنت لجنة جائزة الفيلم البريطاني المستقل عن ترشيح فيلم (الرحيل من بغداد) للمخرج العراقي قتيبة الجنابي لجائزة أفضل فيلم روائي مستقل، وذلك ضمن الحفل الذي أقيم للإعلان عن الترشيحات النهائية الذي أقيم في ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) الماضي بأحد فنادق العاصمة البريطانية لندن.

رشح فيلم (الرحيل من بغداد) من قبل اللجنة المشرفة على مهرجان (رين دانس) اللندني للأفلام السينمائية المستقلة في دورته الأخيرة.

وعن الفيلم كتب الناقد السينمائي ديفيد باركنسون في موقع مجلة (امباير اون لاين) قائلاً: "صور الجنابي الفيلم مستعرضاً حالة البانوريا التي حاصرت المواطن العراقي في عهد الدكتاتورية، لتغدو أحداث الفيلم كابوساً حقيقياً يترجم الأحداث التي يستعرضها الفيلم. الممثل صادق العطار الذي يقف للمرة الأولى أمام الكاميرا استطاع تجسيد شخصية الأب الذي يكتب رسائل إلى ابنه المفقود.. أحد ضحايا النظام".وسوف يتم الإعلان عن النتائج النهائية في حفل ضخم في الرابع من كانون الأول (ديسمبر) المقبل.

يذكر أن الفيلم حصد الجائزة الأولى في مهرجان الخليج في دبي للعام الحالي، وشارك في عدد من المهرجانات العالمية خلال الستة أشهر الماضية.

بيت السلام في لندن يضيّف عالم الفلك عبد العظيم السبتي

يضيف بيت السلام التابع لمؤسسة الحوار الإنساني في لندن البروفيسور عبد العظيم السبتي، في محاضرة عن الظواهر الكونية وتأثيراتها ومالها من آثار بدءاً بما هو قريب؛ كالنيازك ومالها من آثار أو التأثيرات البعيدة التي تتعرض لها المجرة على المجرة كانفجار السوبر نوفا وكيف تؤثر عناصره.

والمعروف أن الدكتور عبد العظيم السبتي هو أول من أدخل تعليم علم الفلك إلى العراق وعمل على تأسيس القبة الفلكية (للنظام الشمسي) في بغداد كما أنشأ مرصداً جويا في جبل كوريك في أربيل.

والسبتي عضو في جمعية الفلكيين والاتحاد الفلكي الدولي يعمل في الوقت الحالي كبروفيسور في جامعة لندن للأرصاد الجوية.

أمسية أدبية تجمع سوزان سامي والحيدري

عبد الخالق دوسكي/ دهوك

نظم اتحاد أدباء الكرد في دهوك أمسية شعرية لكل من القاصة والشاعرة سوزان سامي جميل والشاعر والمترجم ماجد الحيدري في قاعة اتحاد الأدباء في دهوك.

في بداية الأمسية رحب الكاتب حسن السليفاني رئيس اتحاد أدباء دهوك بالضيفين وقدمهما للحضور، مبينا أن الاتحاد قام بتنظيم هذه الأمسية التي جمعت بين قراءة القصص والأشعار ضمن إسهامه بتطوير الحركة الأدبية في محافظة دهوك وخدمة الأدب الكردي بشكل عام ،وبعدها درج الشاعر ماجد الحيدري بإلقاء عدد من قصائده باللغة العربية ثم أعقبته القاصة سوزان بقراءة بعض قصصها. الشاعرة سوزان سامي التي ألقت مجموعة من القصص في هذه الأمسية قالت" لقد حاولت من خلال القصص التي قرأتها أن أركز على نشر مفاهيم إنسانية من خلال توظيف التراث والمواقع والأساطير الكردية كي يكون المتلقي على علم بالأدب الكردي وحقيقته ويدرك مواطن الجمال فيه من خلال الصور المتنوعة التي أردت إبرازها من خلال النماذج التي قرأتها على الحضور".